تمهيد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

وعن أَنَسٍ ـ رضيَ اللَّهُ عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن رزَقهُ اللّهُ امرأةً صالحةً فقد أعانَه على شَطْر دينه، فَلْيَتَّق اللهَ في الباقي». رواه الطبراني والحاكم

بَيَّنت الآيةُ الكريمةُ للناس أنّ مُجتمعَ الحياة الدُّنيا قد خَلقَهُ اللَّهُ وكَوّنَهُ من الرَّجُل والمرأة؛ فهما شريكان في تَعْمير الكَوْن والقيام بأعباء الاستخْلاف وَتكْوين *الأسرة الصّالحة*.

وقد جاءَ الإسلامُ حَريصًا على إصلاح المجتمع البشريّ، وصيانة دَمه وعرضه ودينه وعقله ومَاله، فَوَضَعَ قواعدَ، وسنَّ قوانينَ فيها توضيحٌ لكُلّ ما يَرْقَى بالبَشر ويُسْعدُ الناسَ في الدُّنيا والآخرة. وركزَ الإسلامُ في تَشْريعه للأمّة الإسلاميّة على ما يرفعُ شَأنَها، ويُحقّقُ لها العزةَ والكرامةَ، ويضْمَنُ لكلّ أسرة فيها حياةً مستقرةً شريفةً، وبذلك يرتفعُ بناءُ الحضارة والعُمران ليحقّقَ للبشرية الخيرَ والرخاء.

وحدَّدت النُّظُمُ الإسْلاميةُ سبيلَها المأمونةَ فحفظَتْها منَ الجُموح، وأمَّنَتها منَ الشُّذُوذ، وأحاطَت المرأةَ بكلّ ما يسمو بها من رعايَةٍ، عمادُها ما أحلَّ اللهُ منَ الأطعمة والأشربة والملبس، وبيان حُقوق الوالدَين، وواجبات الآباء نحوَ أولادهم.

- وفي هذا الباب نتناولُ ما يمرُّ بالأسرة المسلمة مُنْذُ تكوينها أبًا وأمّا متفاهمَيْن تحتَ مظَلَّة الزواج الطاهر، ومسيرة هذه الأسرة مع الأبناء الذين هُم زينةُ الحياة الدُّنيا.

وقد تأتي رياحُ الخلاف، وتَهُبُّ عواصفُ الشّقاق، ويتعَذَّرُ الصُّلحُ والإصلاحُ، فيكونُ «الطلاقُ» أبْغَض الحلال عندَ الله، ثم ما يَتْبَعُ ذلك منْ «حَضانةٍ» للأطفال، وإنفاقٍ عليهم.

- ومع إرهاق الحياة وكثرة مشكلاتها قد يكونُ «المرضُ» وما يُحيطُ به منْ علاجٍ ودَواءٍ، وما ينتجُ عنه منْ ضعفٍ ووفَاةٍ، وما يتبعُ ذلك منْ تَجْهيز ودَفْن وعَزَاء.

- وأخيرًا نَعْرضُ لبَيان شرع الله في تَداوُل المال بيْنَ الورَثة بعدَ الْموت، في تَقْسيمٍ عادلٍ فريدٍ يَضْمَنُ لكلّ وارثٍ حقَّهُ المقْسُوم.

- وبعدَ أن فصَّلَ اللهُ تعالى الحدودَ والأحكامَ لخير الإنسان وسعادته، بشّرَ الطائعينَ بالجنَّة وحذَّرَ العاصينَ منَ العذاب المُهين.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]

obeikandl.com